بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٢٧)

النبراس في بيان منزلة وفضل الإصلاح بين الناس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١]

أما بعد:.فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس :

يقول الله تعالى ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء:١١٤] قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَى النَّاسِ جَمِيعًا ﴿ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ وَالْمَعْرُوفُ: هُوَ كُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

أَوْ نَدَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ ﴿ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وَهُوَ الإِصْلاَحُ بَيْنَ الْمُتَبَايِنَيْنِ أَوِ الْمُخْتَصِمَيْنِ بِمَا أَبَاحَ اللَّهُ الإِصْلاَحَ بَيْنَهُمَا لِيَتَرَاجَعَا إِلَى مَا فِيهِ الأُلْفَةُ وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ عَلَى مَا أَذِنَ اللَّهُ وَأَمَرَ بِهِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِمَا وَعَدَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ, فَقَالَ ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ يَقُولُ : وَمَنْ يَأْمُرْ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ مِنَ الأَمْرِ , أَوْ يَصْلُحْ بَيْنَ النَّاسِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ, يَعْنِي طَلَبَ رِضَا اللَّهِ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ يَقُولُ : فَسَوْفَ نُعْطِيهِ جَزَاءً لِمَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ أجر عَظِيمًا , وَلاَ حَدَّ لِمَبْلَغِ مَا سَمَّى اللَّهُ عَظِيمًا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ .ا.هـ [1]

فياعباد الله: يثني ربنا سبحانه في هذه الآية الكريمة على أهل هذه الأعمال الجليلة والأفعال العظيمة التي لا تصدر إلا ممن سمت همته وعلت منزلته ووفقه الله وهداه وألهمه رشده وأعانه، تلك الخصلة النبيلة التي لا يقوم بها إلا أرفع الرجال وأعظمهم ،تلك الخُلة التي لا يقوم بها إلا أهل الأخوة الإيمانية والرابطة الدينية، تلك الخصلة التي لا يقوم بها إلا أهل النخوة والغيرة العربية، فلله درهم كم دفع الله بهم من فتنة وأخمد الله بهم من ثائرة وكم عصم الله بهم من دماء وصِينت بهم من أنفس وكم حُفِظَتْ من أموال وحفظت من أعراض والتأم شمل وصلح حال والتم قلب وكم كُبِتَ بهم من عدو وألجم بهم من رديء وكم جُمعت بهم من كلمة وقويت من شوكة فجزاهم الله خيرا وشكر سعيهم وبارك جهودهم ،إنهم أهل الإصلاح بين الناس

---

١ – . «التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم» (ص٤٠٠) بتصرف يسير

الذين حملوا على عاقتهم القيام بهذه المهمة الجسيمة ،وهذه الخصلة الجميلة التي يحبها ورسوله ووعد على ذلك بالجزاء العظيم ،إنها صمام أمان الأمة من الخلاف والشقاق والفرقة والتنازع والشحناء والبغضاء إنها أعظم الصدقات عند الله ،عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "أفضل الصدقة إصلاح ذات البين" رواه الطبراني وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة "متفق عليه(٢)

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض العلماء: المراد صدقة ترهيب وترغيب لا إيجاب وإلزام: وقوله "يعدل بين الإثنين صدقة" أي يصلح بينهما بالعدل.ا.هـ (٣)

وعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا" لفظ الطبراني حسنه الألباني(٤)

١- . صحيح. الطبراني برقم [١٤٦١٥] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧١):[٢٨١٧]

٢- . البخاري برقم [٢٥٦٠]مسلم برقم [١٠٠٩]

٣- . «شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد» (ص٩٣)

٤- . حسن. الطبراني برقم [٣٩٢٢] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧٢):[٢٨٢٠]

بل هو من أفضل التجارات التي دل عليها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال لأبي أيوب "ألا أدلك على تجارة "قال بلى، قال "صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرب بينهم إذا تباعدوا"رواه البزار وحسنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ[١]

بل هو أفضل من درجة صيام وصلاة النافلة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة "قالوا :بلى ،قال "إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة "رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني[٢]

قال الزرقاني في شرح الموطأ: هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين القوم وذلك لما فيه من عموم المنافع الدينية والدنيوية من التعاون والتناصر والألفة والاجتماع على الخير حتى أبيح فيه الكذب ولكثرة ما يندفع من المضرة في الدين والدنيا.ا.ه[٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما عمل شيء أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين وخلق جائز بين المسلمين "رواه الأصبهاني وحسنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ[٤]

١- . حسن. البزار برقم [١٧٤١] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧١)[٢٨١٨]

٢ . صحيح. الترمذي ربقم [٢٥٠٩] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٧٠) [٢٨١٤]

٣- . «شرح الزرقاني على الموطأ» (٤/ ٤٠٣)

٤- . حسن. صحيح الترغيب والترهيب - (٣ / ٤٥) برقم [٢٨١٦]

والإصلاح يشمل الصلح بين القبائل والأقارب والجيران وجيرانهم والعمال وعماليهم والآباء وأبنائهم، سواء كان ذلك في الأموال، أو الدماء، أو الأقوال والأفعال أو غير ذلك.

وقد رغب ربنا سبحانه كثيرا في الإصلاح بين الأزواج لما في ذلك من المصالح العظيمة من لم شمل الأسرة والحفاظ على كيانها من التصدع والانهيار وحفظ الأولاد من التشتت والضياع ولما فيه من كبت العدو ودحره فإن أعظم عمل يعمله الشيطان وأعوانه هو التفريق بين المرأ وزوجه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال " فيلتزمه " . رواه مسلم[1]

فأعظم عمل هو التفريق بين الزوج وزوجه ولذا أمر الله العباد بالحرص على الإصلاح بين الزوجين حين حصول الخلاف والخصام قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء:٣٥]

وقال سبحانه ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء:١٢٨]

١- . " بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا" برقم [٢٨١٣]

فكم من بيوت كادت تتهاوى فحفظها ربنا برجل أو امرأة من ذوو الخير والصلاح فسعى في لم الشمل والإصلاح بينهما، وكم من بيوت كادت تعصف لا أقول بالأزواج فقط بل بأسرة الزوجين كليهما فوفق الله مصلحا فسعى في ذلك وحصل خير عظيم، فكم نحتاج والله لمثل هؤلاء شكر الله سعيهم، ولنحرص على تحقيق ذلك.

أيها الناس :. إن بالإصلاح بين الناس تتحقق أخوة الإسلام ويمتثل العبد ما أمر الله به عباده من القيام بها فهي قربة وطاعة وامتثال للرب المتعال قال سبحانه﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحُجُرات: ١٠]

وبالإصلاح بين الناس يتحقق قول رسولنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ " مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى "أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١)

وبالإصلاح بين الناس يتحقق تماسك البناء الإسلامي وترابطه عن أبي موسى عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " ثم شبك بين أصابعه. متفق عليه (٢)

وبالإصلاح بين الناس تحصل قوتهم وتماسكهم قال سبحانه﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]

١- . " بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ" برقم [٢٥٨٦]

٢- . البخاري [٤٦٧] مسلم [٢٥٨٥]

والريح هنا أي: قوتكم وحدتكم كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فكم حصل من تيسير على معسر وتفريج على مكروب وإعانة لمحتاج وستر لمسلم بسبب الإصلاح بين الناس وهو والله لما يدخل في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة و من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا و الآخرة و من ستر مسلما ستره الله في الدنيا و الآخرة و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١]

وكم أُفْرِحت من قلوب وسُرَّت من أفئدة واستبشرت من أرواح وقُضِيت من حاجات فهنيئا لمن وفقه الله عليه وإليه ،عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله فقال "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد يعني مسجد المدينة شهرا ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام" رواه الطبراني وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]

١- . « بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى الذِّكْرِ » برقم [٢٦٩٩]

٢- . حسن. الطبراني برقم [١٣٦٤٦] «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٧٠٩)برقم [٢٦٢٣]

فهنيئا والله لمن وفقه الله لذلك الفعل الجليل والخلق النبيل فكم له من الفضل والأجر العظيم.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله ما من عمل أحب إلى الله من إصلاح ذات البين والمشي إلى المساجد وخلق جائز . (١)

أسأل الله أن يصلح أحوالنا ويجمع كلمتنا ويوحد صفنا إنه كريم مجيب.

الخطبة الثانية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليما كثيرا أما بعد:.

وقد رغب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالإصلاح بين الناس بقوله كما رغب بفعله عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لاَ أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ": أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللهِ لاَ يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ" فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ" متفق عليه(٢)

١- . «تاريخ دمشق لابن عساكر» (٢٣/ ٤١٩)

٢- . البخاري برقم [٢٥٥٨] مسلم برقم [١٥٥٧]

وعن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى "يَاكَعْبُ "قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هذَا" وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ، أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ"متفق عليه[١]

ولما علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن بين أهل قبا خلافا سعى للإصلاح بينهم فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أُنَاسًا مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ (شَرٌّ) فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ .أخرجه البخاري[٢]

ومن فضائل الإصلاح أن الله أباح الكذب فيه وهو اتخاذ المعاريض عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمي خيرا " . متفق عليه. [٣]

وزاد مسلم قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. [٤]

١- . البخاري برقم [٤٤٥] مسلم برقم [١٥٥٨]

٢- . « بَاب: مَا جَاءَ فِي الْإِصْلَاحِ بين الناس" برقم [٢٥٤٤]

٣- . البخاري برقم [٢٥٤٦] مسلم برقم [٢٦٠٥]

٤- . «التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم» (ص٤٠٠) بتصرف يسير

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق طلباً للسلامة ودفعاً للضرر عن نفسه، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد لما يؤمل فيه من الصلاح. والكذب في الإصلاح بين اثنين هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً أو يبلغه جميلاً وإن لم يكن سمعه منه ولا كان إذناً له فيه يريد بذلك الإصلاح.ا.هـ (١)

فكم عصم الله بالمصلحين من دماء وأموال .. وفتن شيطانية .. كادت أن تشتعل لولا فضل الله ثم المصلحين..

وينبغي للمتشاحنين والمتخاصمين أن يسعيا ويحرصا على الصلح والإصلاح بينهما لأن عقوبة التقاطع والهجر عظيمة عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا ". رواه مسلم(٢)

وأن يتعافوا بينهم ويحصل التنازل من كل مهما للآخر فذلك سبيل لفتح باب الصلح والالتئام وإغلاق باب الفتنة والخصام، وهو والله من أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: " ما نقصت صدقة من مال شيئا وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله

١- . «معالم السنن» (٤/ ١٢٣)

٢- . « بَابُ النَّهْيِ عَنِ الشحناءِ، وَالتَّهَاجُرِ » برقم [٢٥٦٥]

إلا رفعه الله " . رواه مسلم[١]

وعلى المصلح أن يتحلى بأمور حتى يبارك الله في سعيه وَيُتَمَّ أمره فأعظمها النية الصالحة وابتغاء وجه الله في سعيه وصلحه فذاك أُس الأمر وأساسه قال الله تعالى ﴿ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [النساء:١١٤]

ثانيا:. أن يريد الإصلاح حقيقة لا ادعاء ويكن ذلك هدفه ومطلبه قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [النساء:٣٥

ثالثا :. أن يستعمل التناجي والسرية في إتمام أمره ومراده فكم من نفوس خبيثة لا تريد الإصلاح بين الناس ولا تحب جمع الكلمة واتحاد الصف لأن ذلك يفوت عليهم مصالحهم فإذا علموا بذلك سعوا بكل ما يستطيعوا لإفشال ذلك وإفساده وتأملوا إلى قول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾والنجوى هي الكلام بالسر والخفاء.

رابعا:. أن يستعين بالله وينطرح بين يديه أن يعينه على إنجاح مهمته وإتمام أمره، فإن العبد ضعيف والمعونة من الله، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب

١- . « بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ » برقم [٢٥٨٨]

واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "اللّهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " . رواه مسلم(١)

خامسا:. أن يتحرى العدل والقسط ويتجنب الحيف والظلم قال الله تعالى ﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الحجرات:٩]

وليعلم أنه محمل مسؤلية وأمانة عظيمة فليحرص على تقوى الله فيها وليبشر بمخرج الله له وتوفيقه قال الله سبحانه ﴿ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ ﴾ [الطلاق:٣]

سادسا:. أن يهيئ نفسه ويوطنها على الصبر والتحمل لأن الأمر الذي سيقدم عليه كبير والمعارضون كثر لا كثرهم الله، وعدوه حاضر فسيجلب عليه بخيله ورجله وجنده من الجن والإنس، مابين قادح وذام ولامز، وأيضا النفوس جبلت على الشح والظن بحقها قال الله تعالى ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء:١٢٨]

فقد يسمع كلاما جارحا من الخصمين أو أحدهما فيصبر ويحتسب الأجر عند الله فما عند الله خير وأبقى.

١- . « باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء » برقم [٢٦٥٤]

سابعا :. أن يكون صلحه مبني على علم شرعي حتى لا يصلح بأمر محرم وبصلح فاسد في الشرع.

ثامنا :. أن يحسن الكلام والتنميق في العبارة وأن ينقل بينهما الكلام الحسن والثناء العام لقوله صلى الله عليه وسلم " ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيرا و يقول خيرا " متفق عليه[١]

أسأل الله أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر عند ابن ماجة من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه " حسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ [٢]

فالمصلح والله من مفاتيح الخير ومغاليق الشر.

وأسأله سبحانه أن يكفينا والمسلمين شر كل ذي شر وأن يبور مكر الماكرين وحقد الحاقدين إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

١- . البخاري برقم [٢٥٤٦] مسلم برقم [٢٦٠٥]

٢- . حسن. ابن ماجة برقم [٢٣٧] السلسلة الصحيحة برقم [١٣٣٢]